

مع ابن العديم وكتابه بغية الطلب في تاريخ حلب

د. سهيل زكار

عرفت ابن العديم للمرة الأولى عام ١٩٦١ ، وكنت آنئذ طالباً في قسم التاريخ في جامعة دمشق، وقد عرفته آنذاك من خلال كتابه « زبدة الحلب من تاريخ حلب » ، ثم مرت الأيام فأوفدت لتحضير الدكتوراه في جامعة لندن ، وهناك جعلت موضوع أطروحتي البحث في تاريخ إمارة حلب خلال القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد ، ولدى شروعي بالعمل وجدت أن أهم مصادر المتوفرة هو كتاب « زبدة الحلب » ، وعدت الى هذا الكتاب فتعرفت من جديد على محتوياته ، وبدأت معرفتي بابن العديم تتأكد وتتأصل ، ومن خلال البحث عرفت من مقدمة محققه المرحوم الدكتور سامي الدهان له ، أن لابن العديم عدداً من المؤلفات أهمها كتاب اسمه « بغية الطلب في تاريخ حلب » ، وقد تحدث الدكتور الدهان عن هذا الكتاب ونسخه الخطية وجاء في ثانياً هذا الحديث قوله : « ولن نفيض في وصف هذه النسخ هنا ، ولن نبسط طريقتنا في التعرف اليها وترتيبها ، وإنما نحيل القارئ الى الجزء الأول من « بغية الطلب » ، فنحن نطبعه في القاهرة المعزية ، ونصدره بدراسة مطولة يدرك معها القارئ سبب سرورنا ، ومبلغ سعادتنا في تسلمها جميعاً في القرن الرابع عشر كما ذكرها السخاوي في القرن العاشر » ، [ص : ٥٥] .

وبحثت عن كتاب بغية الطلب في مكتبة المعهد فلم أجده ، وعجبت للأمر ، خاصة أن هذا حدث معي عام ١٩٦٧ ، أي بعد مروراً يزيد على ست عشرة سنة على نشر المجلدة الأولى من كتاب زبدة الحلب .

وبعد بحث طويل تأكد لدي أن الكتاب لم ينشر ، ولم يدفع قط لمطبعة ، وهنا أخذت أبحث عنه فوجدت المرحوم الأستاذ الطباخ يذكره في كتابه « أعلام النبلاء » ، إنما يبين بأمانة أنه لم يره إنما سمع بوجوده في استانبول .

وتبعاً لهذا يمتد وجهي شطر استانبول، وأخذت أبحث عن الكتاب وعن مصادر إضافية أعود إليها أثناء البحث في موضوع أطروحتي، وفي استانبول عرفت بوجود عشر مجلدات من هذا الكتاب جميعها بخط الموائف، وهي مورعة على ثلاث مكتبات، وتمكنت من الحصول على مصورة لهذه المجلدات .

وبعد عودتي الى لندن عرفت أن بين محتويات مكتبة المتحف البريطاني مجلداً من كتاب بغية الطلب، وأن المكتبة الوطنية في باريس تحوي أيضاً واحداً من أجزاء الكتاب كما أن مكتبة المرحوم داود جلبي في الموصل فيها أحد أجزاء الكتاب، ولدى البحث والمقارنة تبين لي بأن هذه الأجزاء ليست بخط المؤلف وأن محتوياتها موجودة بين الأجزاء العشرة التي صورتها من مكتبات استانبول .

وفي لندن قرأت أجزاء كتاب بغية الطلب وتعرفت الى محتوياتها، فأدركت مدى أهمية هذا الكتاب وأهمية محتوياته ليس كمصدر لتاريخ شمال بلاد الشام بل كمصدر أساسي لتاريخ بلاد الشام جنوباً وشمالاً ثم تاريخ الاسلام بشكل عام، وأنه تبعاً لهذا ينبغي نشره .

وبعد عودتي الى دمشق أخذت أخطط لنشر المجلدات العشرة الموجودة من كتاب البغية، وتأكد لدي أنه لا يوجد في العالم غيرها، ومعروف أن ابن العديم كان قد وضع خطة الكتابة مصنفه هذا في أربعين مجلدة، إنما لا ندري هل تمكن من كتابة مسودة هذه المجلدات جميعاً، أم أن المنية حالت بينه وبين ذلك، ثم نحن لا ندري الآن ماذا تحتل المجلدات الموجودة من حجم الكتاب الأصلي، لأنها في وضعها الحالي هي على غير الحال التي كانت عليه حين صنفها ابن العديم: «أوراقها مدشوته» وقد أخذ كل جزء من أجزائها مكاناً غير مكانه، ويعني هذا أنها كانت قبل تسفيرها الاخير عبارة عن مجموعة من الأجزاء والأوراق، وأن الذي تولى تسفيرها لم يكن من ذوي العلم والدراية . . .

ليس في نيتي القيام بوصف هذه المجلدات العشر بشكل مسهب في هذا البحث، بل انني سأدع ذلك كله الى بحث متكامل أصنعه عن ابن العديم وعن كتابه بغية الطلب، وسأقوم - بعونه تعالى - بالحاق هذا البحث بفهارس الكتاب العامة وذلك بعدما أفرغ من نشره .

ومن حسن الحظ أن الموجود من كتاب بغية الطلب فيه المجلدة الأولى مع المجلدة الأخيرة منه، وهذا سيمكننا من التعرف على الخطة العامة للكتاب، وهي خطة اقتبسها ابن العديم من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، فقد وقف ابن العديم المجلدة الأولى من الكتاب على الحديث عن فضائل شمالي بلاد الشام مع وصفها الجغرافي وأخيراً أخبار فتوحها على أيدي المسلمين، وبعد ذلك أخذ يترجم لأعلام شمال بلاد الشام ممن ولد هناك أو مرّ أو سكن أو . . . ، على حروف المعجم ولم يقتصر على أعلام حقب تاريخ الاسلام بل تناول أعلام ما قبل الاسلام مثل الفيلسوف أرسطو وسواه .

ويختلف عمل ابن العديم عن عمل «أستاذه» ابن عساكر، كاختلاف مهنتيهما مع سيرة حياتهما، فابن عساكر كان محدثاً أولاً وآخراً، وابن العديم كان سياسياً وريث أسرة أرستقراطية جمعت بين العلم والقضاء والحكم والسياسة والتجارة والنشاط الزراعي .

بعد هذا كله أرى من الأحسن التعرف الى الملامح العامة لحياة ابن العديم ومن ثم
نعود الى الحديث عن كتابه بغية الطلب .

ان مصدرنا الأول والأساسي عن حياة ابن العديم مع تاريخ أسرته هو كتاب بغية
الطلب ، حيث ضمنه العديد من تراجم أفراد أسرته ، كما تحدث هنا وهناك عن نشاطات
رجال أسرته في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للقسم الشمالي من
بلاد الشام ، وبالإضافة الى هذا المصدر الأساسي نجد ياقوتاً الحموي صديق ابن
العديم يذكر أنه اعتمد في ترجمته له على كتاب اسمه « الأخبار المستفادة في ذكر بني
أبي جرادة » ، وقال ياقوت : « أنا سألته جمعه فجمعه لي ، وكتبه في نحو أسبوع ،
وهو عشرة كراريس » .

وابن العديم هو صاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله . . . بن أبي جرادة ،
وقد ولد في مدينة حلب في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمس مائة للهجرة ، وعندما بلغ
السابعة من عمره حمل الى المكتب للدراسة ، وهناك ظهرت استعداداته مما بشر بنبوغته
المبكر ، وقد كان نحيف البنية لذلك عني به أبوه عناية كبيرة ، فحذب على رعايته صحته ،
وسهر على تربيته وتعليمه ، ونظراً لمنزلة والده ولما تمتعت به أسرته من مكانة نال
ابن العديم حظه وافياً من معارف عصره الدينية والدنيوية ، ويروى بأن أباه حظه
على اتقان قواعد الخط ، ذلك أنه - أي الأب - كان رديء الخط ، فأراد أن يجنب ابنه هذه
الخلقة ، ونجح في هذا المجال نجاحاً كبيراً للغاية ، وقد وصف ياقوت اتقان ابن العديم
لقواعد الخط العربي بقوله : « وأما خطه في التجويد والتحرير والضبط والتقييد فسواد
مقلة لأبي عبدالله بن مقلة ، وبدر ذو كمال عنيد علي بن هلال » ، ويؤكد شهادة ياقوت
هذه المجلدات العشرة من كتاب بغية الطلب التي وصلتنا بخط ابن العديم ، حيث نرى
فيه واحداً من ألمع النسخ في تاريخ العربية وأكثرهم ضبطاً وبراعة وأمانة ويقظة ودراية .

وفي باب العناية في انشاء ابنه وتثقيفه صحب أحمد بن هبة الله ولده عمر في رحلاته
وأسفاره ، حيث زار دمشق أكثر من مرة كما زار بيت المقدس ورحل الى العراق والحجاز .

وعندما بلغ سن الشباب وجد ابن العديم السبل أمامه كلها مفتوحة لمستقبل لامع ،
وكان لمواهبه وثقافته وأسرته الفضل الأكبر في تحقيق نجاحاته ، وهنا يحسن التوقف قليلاً
للتعرف الى أسرة ابن العديم ، وذلك قبل متابعة الحديث عن مراحل حياته :

يعرف الجد الأعلى للصاحب كمال الدين باسم ابن أبي جرادة ، وكان صاحباً لأمير
المؤمنين علي بن أبي طالب ، ينتسب الى ربيعة من عقيل إحدى كبريات قبائل عامر
ابن صعصعة العدنانية ، وكان يقطن مدينة البصرة ، وفي هذه المدينة عاش أولاد آل أبي
جرادة وأحفادهم ، وفي مطلع القرن الثالث للهجرة قدم أحد أفراد أسرة أبي جرادة
الى الشام في تجارة وكان اسمه موسى بن عيسى وحدث أنشد أن ألم بالبصرة طاعون ، لهذا
قرر موسى البقاء في الشام ، واستوطن مدينة حلب ، وفي هذه المدينة التي كانت عاصمة
شمال بلاد الشام ، ومفتاح الطريق الى العراق وبلاد المشرق الاسلامي مع أسية
الصغرى والأراضي البيزنطية ، فيها خلف موسى بن عيسى أسرة نمت مع الأيام عدداً

ومكانة وثروة وشهرة ، وتملكت هذه الأسرة الأملاك ، كما ساهمت في جميع ميادين الحياة في حلب من سياسة وعلم وقضاء وإدارة وتجارة وغير ذلك ، وبهذا غدت أسرة آل أبي جرادة من أبرز أسر حلب ، وظلت هكذا حتى حل بحلب الدمار على أيدي جيوش هولاكو ، كما ظلت محتفظة باسمها ذاته طوال تاريخها ، إنما في القرن الأخير من حياتها كسبت اسماً إضافياً ، أخذ رويداً رويداً يعم في الاستعمال أكثر من الاسم الأصيل ، لكنه لم يلغ ، وكان الاسم الجديد هو « العديم » ، ونحن لا نملك تعليلاً لسبب هذه التسمية ، فقد قال ياقوت : « سألته أولاً لم سميتم ببني العديم ؟ فقال : سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه ، وقال : هو اسم محدث لم يكن آبائي القدماء يعرفون بهذا » .

ودانت أسرة ابن أبي جرادة بالتشيع حسب مذهب الإمامية ، وظلت هكذا حتى بدأ التشيع بالانحسار في حلب ، وذلك منذ النصف الثاني للقرن الخامس/الحادي عشر ، هذا وإن كنا لا نعرف بالتحديد تاريخ أخذ هذه الأسرة بمذاهب السنة أمكننا أن نقدر ذلك ، بحكم سقوط سلطة الشيعة في حلب مع عصر السلطان السلجوقي ألب أرسلان [وهو أمر بحثته بالتفصيل في كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية] ونظراً للعلاقات أسرة آل أبي جرادة الخاصة مع سلطات حلب ، لا بد أن الحال اقتضى المسaire والتحول إلى السنة ، ولربما حسب المذهب الحنفي .

وفي عودة نحو سيرة صاحب كمال الدين نجده يحدثنا بأن والده خطب له وزوجه مرتين ، فقد أخفق في الزواج الأول ، لذلك طلق زوجته وتزوج ثانية بابنة الشيخ الأجل بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبدالله - المعروف بالمعجمي ، وكان شيخ أصحاب الشافعي ومن أعظم أهل حلب منزلة وقدر أوثق ومكانة سياسية ودينية واجتماعية ، ومن زواجه الثاني رزق صاحب كمال الدين أولاده ، ولم يمت والده حتى كان ابنه أحمد طفلاً يدب على الأرض ، ويمكننا التعرف إلى هذا الابن من خلال استعراضنا لكتاب بغية الطلب حيث سمع الكتاب على أبيه وقام بعد وفاة والده باستدراك بعض المواد التي حالت النسيان بين والده وبين تدوينها في كتابه ، فمن المقرر أن ابن العديم مات دون أن يقوم بإعادة النظر في مؤلفه « بغية الطلب » ، ولم يقم بتبويضه ، والذي وصلنا هو مسودة الكتاب ، إنما نظراً لبراعة المؤلف وحسن طريقته وجودة خطه ، نرى أن مكانة الكتاب وأهميته هي هي ، ذلك أن أهمية الكتاب نابعة مما حواه من مواد تاريخية نهلها ابن العديم من وثائق ومصنفات غيبها الزمن عنا ، فابن العديم كان مصنفًا ممتازاً ولم يكن « مؤرخاً » حسب مصطلحات أيامنا هذه ، فهو قد جمع في كتابه المواد الاخبارية ونسقها ، لكنه لم يحاول تحليلها ومعالجتها كما يفعل الباحث في التاريخ في جامعات أيامنا هذه

ومنذ أن بلغ صاحب كمال الدين سن الشباب أخذ يشارك في الحياة السياسية والعلمية لمدينة حلب ، فقد كان يحضر مجلس الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب - فيكرمه ويقربه ويقبل عليه أكثر من أقباله على غيره ، رغم صغر سنه ، وفي ذي الحجة سنة ست عشرة وستمئة والي ابن العديم أول عمل رسمي ، لقد والي التدريس في مدرسة شاذبخت وكانت من أجل مدارس حلب وأرقاها كل « هذا وحلب أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ ، والفضلاء الرواسخ ، إلا أنه رؤي أهلاً لذلك دون غيره ، وتصدر ،

والقى الدرس بجنان قوي ، ولسان لودعي ، فأبهر العالم وأعجب الناس» [ياقوت: ١٦/٤٤٤] ، ويبدو أنه تولى بعد هذه المدرسة التدريس بالمدرسة الحلاوية ، التي كانت أجل مدارس حلب ، وهي مدرسة ما زالت قائمة حتى الآن ، تعلموا واحداً من جدرانها لوحة حجرية كتبها ابن العديم بخطه .

ومع مرور الأيام علت مكانة ابن العديم ، فسفر عن ملوك حلب الى ملوك الدول المجاورة في بلاد الشام والجزيرة وآسية الصغرى ، والى سلاطين القاهرة وخلفاء بغداد ، وكانت خزائن كتب ووثائق كل بلد زارها تحت تصرفه ، فنهل منها ما لم ينهله سواه ، وأودع جل ذلك في كتابه بغية الطلب ، ومن هذه الزاوية يمكن أن نرى أهمية هذا الكتاب ، ومن ناحية أخرى يمكننا أن نرى المدى الذي وصلت اليه خزائن المشرق العربي قبيل وقوع الطامة الكبرى على يد المغول بسنوات .

وفي كل مكان زاره ابن العديم كان يلقي الحفاوة من رجال السلطة ، وكان بنفس الوقت يلتقي بالعلماء وشيوخ العصر فيأخذ عنهم ، ولقد أودع ما أخذه عن علماء عصره ، وما رآه من أحداث أو شارك به ، أودعه في كتابه بغية الطلب ، حتى غدا هذا الكتاب أشبه بمنجم للمعلومات لا ينضب معينه .

وظل نجم ابن العديم يصعد في سماء السياسة في حلب وسواها حتى وصل الى مرتبة الوزير ، ولكن مشاغل السياسة والحياة العامة لم توقف العمل الفكري ولم تعطله ، وهكذا صنف ابن العديم عدداً كبيراً من الكتب ، غلب على معظمها سمة التاريخ ، ولعل أشهر كتبه « كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب » و « كتاب الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري » ، وكتابنا الذي نتحدث عنه اليوم ، وقد طبع كتاب الزبدة في أجزاء ثلاثة في دمشق ، أما كتاب « الانصاف » فقد طبعت قطعة منه للمرة الأولى بحلب ثم أعيد طبعها في القاهرة ، وأقول قطعة ذلك أن الكتاب لم يصلنا كاملاً بشكل مباشر .

وعندما قلت بشكل مباشر أردت أن أقول بأن الكتاب وصلنا بشكل غير مباشر ، فواحد من أحفاد ابن العديم ممن عاش بعد جده في القاهرة ، صنف كتاباً حول القاضي الفاضل دعاه باسم « سوق الفاضل في ترجمة القاضي الفاضل » ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وفي ثنايا الكتاب ورد في إحدى رسائل القاضي الفاضل بيت من شعر المعري ، وأراد حفيد ابن العديم أن يعرف بالمعري ، فقال قال جدي في كتابه الانصاف والتحري ، وأثبت نص الكتاب بكامله ، ويوجد هذا الكتاب مصوراً على شريط في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة .

ويعود سبب انتقال ابن العديم الى القاهرة ، الى تعرض مدينة حلب الى الدمار سنة ٦٥٧ هـ على يد جيوش هولاكو ، وكان ابن العديم غادر مدينته الى دمشق ، ثم منها الى غزة فالقاهرة ، ويبدو أنه عاد بعد عين جالوت الى دمشق ، وربما أراد التوجه الى

حلب ، أو توجه اليها فعلاً ليعاين الدمار الذي لحقها ، وفي أثناء ذلك عرض عليه هولاكو منصب قاضي حلب ، فرفض ، وعاد إلى القاهرة ، حيث أمضى بقية حياته ، وقد وافته منيته في مصر في العشرين من جمادى الأولى سنة ستمائة وستين للهجرة .

إن التششت الذي لحق بابن العديم في سنوات حياته الأخيرة ، ثم ما آلت إليه الحال في بلاد الشام ، قد ترك أبعد الآثار على مكتبة ابن العديم مع مؤلفاته ، وخاصة كتابه « بغية الطلب » ، فإذا قبلنا فرضاً بأن ابن العديم قد أنجز تسويد مؤلفه ، من المؤكد أنه لم يتمكن من تبليغه وبالتالي لم تقم أمام الكتاب الفرصة لنسخه وتداوله .

إن من يقرأ بعض المتبقي من كتاب « بغية الطلب » يدرك عظمة ابن العديم ، فيرى فيه أعظم مؤرخ أنجبته بلاد الشام بلامنازع ، وبلا شك علماً بارزاً للغاية بين أعلام فن التاريخ الإسلامي ، ومن هذا المنطلق رأيت من المتوجب العمل في سبيل تحقيق الكتاب ونشره ، وبالفعل فرغت عام ١٩٧٢ من تحقيق المجلدة الأولى من الكتاب ، وشرعت في العمل في المجلدة الثانية ، وأخذت أبحث عن ناشر يتعهد نشر الكتاب وتوزيعه ضمن شروط تصون الكتاب وتبعده عن طرائق الوراقين في النشر ، فلم أوفق ، وكانت القضية بحاجة إلى مساعدة من جهة حكومية أو غير حكومية ، ولقد رأيت في المبادرات التي تمت تجاه تاريخ ابن عساكر ما يشجع ، إنما بعد اطلاعي على التجربة ، ملت نحو عدم طلب المساعدة الحكومية ، فأنا شخصياً أرى في التراث شيئاً مقدساً ، أنه يحوي النتاج الفكري لأمتي خلال أجيال وهذا النتاج جزء من الماضي ، ولا يجوز أن نطلب من الماضي أكثر من الماضي ، وأنه لإثم عظيم أن يُسيّس تراثنا ، وأنه لكفر ما بعده كفر أن يلقي التراث المعاملة التي يلقاها الآن من الوراقين ومن أنصاف المتعلمين فالذي يحل بالتراث الآن على أيديهم أعظم شناعة من جريمة هولاكو وجنده .

★ ★ ★

توجد مخطوطة المجلدة الأولى من كتاب « بغية الطلب » في خزانة جامع أيا صوفيا بإستانبول وهي نسخة فريدة بالعالم ، لا نعرف بوجود نسخة أخرى عنها ، وجاءت هذه النسخة - كما سلفت الإشارة - بخط المؤلف ، وتحتوي مائتين وأحدى وعشرين ورقة من الكتاب ، ألحق بها بضع أوراق عليها ملاحظات وتعليكات كتبت بشكل أخص من قبل ممتلك النسخة الأخير في القرن التاسع للهجرة واسمه محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن السابق الحموي الحنفي ، ومألحق نصوص هذه الملاحظات والتعليكات بهذه المقدمة .

إن النسخة التي بين أيدينا هي بلا شك تشكل المجلدة الأولى من كتاب بغية الطلب حسب خطة المؤلف ، وحسب الموجود بين أيدينا الآن ، وهذا أمر لا نستطيع تقريره بالنسبة للمجلدات الأخرى من الكتاب اللهم إلا بالنسبة للمجلدة الثامنة من مجلدات مكتبة أحمد الثالث بإستانبول ، حيث أعتقد أنها تحوي نص المجلدة الأخيرة من الكتاب ، أي المجلدة الأربعين إذا صح خبر تصنيف ابن العديم الكتاب في أربعين مجلدة .

وقد وصلتنا نسخة المجلدة الأولى ناقصة الأول والآخر ، فُقد من أولها جزء واحد فيه ما لا يقل عن عشر أوراق ، ولا بد أنه حوى خطبة الكتاب مع بداياته ، هذا ومن الصعب تحديد كمية الأوراق الناقصة من آخر المجلدة، إنما يخيل لي أنها ليست كثيرة ، ربما تماثل ما نقص من المطلع تقريباً .

هذا ولم تكن مشكلة النقص هي المشكلة الوحيدة التي أصابت هذه المجلدة ، بل - كما سبق وأشارت - اضطربت أجزاء الكتاب وتداخلت الأوراق ، ولقد قمت بإعادة ترتيب أوراق هذه المجلدة بشكل متيقن من صحته ، إنما باستثناء ورقة واحدة لم أهدأ الى مكانها لذلك ألحقتها بآخر الكتاب ، والذي مكنني من إعادة ترتيب الكتاب هو الترابط بين الموضوعات ، علماً بأن ابن العديم لا يستخدم « الرقاص » في نهاية الصفحات ، يضاف الى ذلك أن ابن المديم سمع الكتاب من أولاده ، وتم السماع عبر عدة مجالس ، وكان من حسن الحظ أن قام المؤلف بتدوين تاريخ كل مجلس سماع ، ولقد مكن وجود التواريخ المتلاحقة من إعادة ترتيب الكتاب ، ويكفي هنا أن تضرب بعض الأمثلة على حالة الاضطراب التي كانت مسيطرة على الكتاب، فالورقة رقم ١/ الآن كانت من قبل تحمل رقم ٤٧/ ورقم ٢٧/ الآن كانت من قبل تحمل رقم ٧٣/ والورقة رقم ١٥٧/ كانت من قبل تحمل رقم ١٠/ وهكذا ...

وعلى العموم وصلنا كتاب بغية الطلب بحالة لا بأس بها ، إنما لا بد من أن نشير الى مسألة هامة ، وهي أنه رغم جودة خط ابن المديم وضبطه ، فقد كان من عاداته الاقلال من استخدام التنقيط ، وهذا الحال عبارة عن مزلة كبيرة تقود الى التصعيف ، ان لم يتم العمل بحذر شديد مع الاستعانة بالمصادر اللازمة .

لقد أنجزت تحقيق القسم الأعظم من مجلدات بغية الطلب ، وقمت أثناء عملي بإعادة ترتيب أوراق كل جزء منها لأنها كانت « مدشوتة » وفي شتاء عام ١٩٧٨ دفعت المجلدة الأولى للطباعة في دار الفكر ببيروت وأملني كبير بأن تخرج هذه المجلدة الى السوق الشهر المقبل ليتم طبع المجلدة الثانية .

ومرد تأخير طباعة هذه المجلدة غيابي السنوات الماضية في المغرب ، لكن الآن وقد عدت مجدداً الى دمشق الأمل عظيم بأن تتم أعمال طباعة هذا الكتاب العملاق خلال الغامين المقبلين .

ان المنهج الذي اتبعت في تحقيق كتاب بغية الطلب ، استهدف أولاً ضبط نصه ، واخراجه بالصورة التي ابتناها مؤلفه ، مع الاقلال الى أكبر الحدود من العواشي ، وفقط اثبات الضروري منها ، هذا ومن الملاحظ أن ابن العديم نهل جل مواد كتابه من مصادر متوفر بعضها والبعض الآخر هو في حكم المفقود ، أو من المتعذر الوصول اليه ، ولقد قمت بتفريغ النصوص التي تمكنت من الوقوف على أصولها ، ونهت الى الفوارق ان وجدت ، ولقد تجلني لدي أثناء عمليات التفريغ مدى دقة ابن العديم ، وعلو أمانته ، وخلصت الى نتيجة هامة مفادها أن « نقول ابن العديم » يمكن اتخاذها مرجعاً للضبط والتصحيح ، ولا شك أن هذا يزيد من قيمة كتاب بغية الطلب وقيمة محتوياته .

ولقد ارتأيت في البداية القيام بالتعريف بأصحاب المصادر التي نقل منها ابن العديم، ولكنني أقلعت عن ذلك، كيما لا أثقل الحواشي وأتجنب عمليات التكرار، ورأيت الاستعاضة عن ذلك أشاء وضع الفهارس العامة للكتاب، بوضع فهرس على قاعدة - الببلوغرافيا - أوضح فيه مصادر ابن العديم بذكر اسم المؤلف وسنة وفاته، مع اسم كتابه أو كتبه المنقول عنها مع موضوعات النصوص المنقولة، وأخيراً أرقام الصفحات والمجلدات التي جاءت فيها بعد طباعة كتاب البغية، وأملني كبيراً أن يأتي هذا الفهرس كمفتاح عام للكتاب، وأن يكون فيه بعض التجديد بالنسبة لأعمال تحقيق النصوص خاصة الطويلة منها (١) .

كتب ابن السابق الحموي بخطه على الصفحة الأولى :

١ - نوبة جمال غفرانه تعالى محمد بن محمد بن محمد بن السابق الحنفي عفا الله عنهم أجمعين ، بالقاهرة المحروسة في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الآخر في سنة ست وخمسين وثمانمائة ، أحسن الله عاقبتها في خير آمين .

٢ - يقول كاتب هذه الأحرف فقير عفو الله تعالى محمد بن محمد بن محمد بن السابق الحموي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي : انه يروي تاريخ حلب للصاحب كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن أبي جرادة وبابن العديم عن الشيخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ ، مؤرخ الديار المصرية ، عن ناصر الدين محمد الهواري الطبردار عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدميأطي عن مصنفه صاحب كمال الدين ابن العديم تغمدهم الله تعالى برحمته ورضوانه .

٣ - وجاء أيضاً على الصفحة الثانية بخط ابن السابق :

١ - عمر بن أحمد بن أبي الفضل هبة الله بن أبي غانم محمد بن هبة الله ابن قاضي حلب أبي الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن هرون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد ابن أبي جرادة عامر بن ربيعة ابن خويلد بن عوف بن عامر بن عتيق ، الصاحب العلامة ، رئيس الشام كمال الدين أبو القاسم الهواري العتيقي الحلبي ، المعروف بابن العديم .

١ - لقد الحق بالمجلدة الأولى من الكتاب بضع أوراق فيها ملاحظات وتعليكات ، ومعظم الملاحظات كتبت من قبل جمال بن السابق الحموي ، الذي كان من أصحاب السخاوي ، وقد أتى على ذكره في كتابه الاعلان بالتوبيخ (ص : ١٤٤) من مطبعة القدسي) ونظراً لأهمية هذه الملاحظات لأنها وتبعت بترجمة لابن العديم ثم لتعلقها بفن التاريخ ولأنها حوت ترجمة قصيرة للشريف الإدريسي صاحب نزهة المشتاق الذي زار حلب فترجم له الصاحب كمال الدين ابن العديم : وقام ابن السابق بدوره بالافتباس من هذه كما هو مرجح ، يضاف إلى هذا أن ابن السابق ذكر في إحدى الملاحظات تلقية الكتاب من المقرئ مؤرخ مصر الاسلامية ، والمقرئ نهل من كتاب ابن العديم ما شاء له القدر ، لكن كما هي عادته لم يشر إلى الكتاب ، فهو نادراً ما يشير إلى مصادره ، وما يرد أحياناً في نصوصه من ذكر لبعض المصادر ، ينبغي الإلتباس على القارئ ، فالمصادر ليست مصادره ، بل مصادر صاحب النص المنقول عنه ، ووضح هذا الأمر لدي أثناء عملي في كتاب « المقفي » للمقرئ الذي شرع في تصنيفه وأخرياته ، وأراد أن يجعله مشابهاً لتاريخ دمشق وبعبءه ، لكن المنية لم تسعفه ، وعندني الآن نسخة مصورة من هذا الكتاب فيها خمس مجلدات ، أربع منها يخط المقرئ وقد عملت في هذا الكتاب ، ونشرت بعض مواده ، وفي نيتي أن أنشر مزيداً من مواده قريباً فلعلالج هذه المسئلة بشكل أوفى . لهذا كله رأيت مقيداً الخاق بعثي هذا بما دونه ابن السابق ، ذلك لأنني أرى أن تكون أبحاث مجلة كمجلة التراث مقرون كل منها بنص ترافي .

ولد سنة ست وثمانين وخمسائة وتوفي سنة ستين وستمائة ، وسمع من أبيه ومن عمه
أبي غانم محمد ، وابن طبرزد ، والافتخار ، والكندي ، وابن الحرساني ، وسمع جماعة
كثيرة بدمشق ، وحلب ، والقدس ، والحجاز ، والعراق ، وكان محدثاً حافظاً ، مؤرخاً صادقاً ،
فقيهاً ، حنفياً ، مفتياً ، منشياً بليغاً ، كاتباً مجوداً ، درس وأفتى ، وصنف وترسل
عن الملوك ، وكان رأساً في الخط المنسوب اليه بالنسخ والحواشي .

أطنب الحافظ شرف الدين الدمياطي في وصفه ، وقال : ولّي قضاء حلب خمسة من
آبائه متتالية ، وله الخط البديع ، والخط الرفيع ، والتصانيف الرائقة ، منها تاريخ
حلب ، أدركته المنية قبل اكمال تبويضه ، وروى عنه الدوادري وغيره ، ودفن بسفح
المقطم بالقاهرة .

قال ياقوت : سألته لم سميتم ببني العديم ؟ فقال : سألت جماعة من أهلي عن
ذلك فلم يعرفوه ، وقال : هو اسم محدث لم يكن آبائي القديما يعرفون به ، ولم يكن في
نساء أهلي من يعرف بهذا ، ولا أحسب الا أن جدّ جدّي القاضي أبا الفضل هبة الله بن
أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة مع ثروة واسعة ، ونعمة شاملة - كان يكثر في
شعره من ذكر العدم ، وشكوى الزمان ، فان لم يكن هذا سببه ، فلا أدري ما سببه .

قال : ختمت القرآن ولي تسع سنين ، وقرأت بالعشر ولي عشر سنين ، ولم أكتب
على أحد مشهور ، الا أن تاج الدين محمد بن أحمد بن البورنطي البغدادي ورد اليّنا الى
حلب ، فكتبت عليه أياماً قلائل ، لم يحصل منه فيها طائل ، وله كتاب « الذراري في ذكر
الذراري » جمعه للملك الظاهر ، وقدمه اليه يوم ولد ولده الملك العزيز ، وكتاب « ضوء
الصباح في الحث على السماح » صنّفه للملك الأشرف ، وكتاب « الأخبار المستفادة في ذكر
بني أبي جرادة » وكتاب « في الخط وعلومه ووصف آدابه وطروسه وأقلامه » وكتاب
« دفع التجري على أبي العلاء المعري » وكتاب « الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار » .

وممن كتب اليه يسترفده سعد الدين منوهر الموصلي ، وأمين الدين ياقوت المعروف
بالمعالم ومنوهر ياقوت الكاتب الذي يضرب به المثل .

وكان في بعض سفراته يركب في محفة تشدّ له بين بغلين ، ويجلس فيها ويكتب ،
وقدم الى مصر رسولاً ، والى بغداد ، وكان اذا قدم مصر يلازمه أبو الحسين الجزار ،
وله فيه مدائح .

٤ - وجاء على الصفحة الثالثة بخط ابن السابق أيضاً :

١ - للادريسي :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| اذا عرف الانسان أخبار من مضى | توهمته قد عاش من أول الدهر |
| وتحسبه قد عاش آخر دهره | الى الخثر ان أبقى الجميل مع الذكر |
| فقد عاش كل الدهر من كان عالماً | كريماً حليماً فاغتنم أطول العمر |

٢ - محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيدالله بن عمر بن ادريس [بن ادريس] بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الشريف الادريسي ، مؤلف كتاب رُجَّار ، وهو « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، نشأ في أصحاب رُجَّار الفرنجي صاحب صقلية ، وكان أديباً ، ظريفاً ، شاعراً ، مغوى بعلم جغرافيا ، صنف لِرُجَّار الكتاب المذكور ، ومن شعر الادريسي المذكور :

| | |
|------------------------|--------------------|
| ليت شعري أين قبري | ضاع في الغربة عمري |
| لم أدع للعين ما تشـ | تاق في برٍّ وبحر |
| وخبرت الناس والأر | ض لدى خير وشر |
| لم أجد جاراً ولا داراً | كما في طيِّ صدري |
| فكأنني لم أسر | الا بميت أو بقفر |

٣ - لأبي الخطاب محمد بن محمد بن أحمد البطائحي - روى شعره ابن النجار عن ثلاثة عنه :

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| يا راقدا العين عيني فيك ساهرة | وفارغ القلب قلبي منك ملآن |
| اني أرى منك عذب الثغر عذبني | وأيقظ الجفن جفنك وسان |

أخذ هذا المعنى شهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزازي أحد من روى عنه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، فقال في قصيدته التي أولها :

| | |
|-----------------------------|------------------------|
| دمي بالحلال ذات الخال مطلول | وجيش صبري مهزوم ومغلول |
|-----------------------------|------------------------|

منها :

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| يا راقدا العين عيني فيك ساهرة | وفارغ القلب قلبي منك مشغول |
|-------------------------------|----------------------------|

فغير القافية لا غير .

٥ - وجاء على الصفحة الرابعة بخط ابن السابق أيضاً :

١ - فصل في فوائد التاريخ

منها واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي الذي أظهر كتاباً ، زعم أنه كتاب رسول الله ﷺ ، باسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة جماعة من الصحابة ، منهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، فحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء ، ووقع الناس به في حيرة ، فعرضه على الحافظ أبي بكر خطيب بغداد ، فتأمله ثم ألقاه ، وقال : هذا مزور ، فقبل له : من أين لك كل ذلك ؟ فقال : فيه شهادة معاوية ، وهو أسلم عام الفتح ، وفتوح خيبر قبل ذلك سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وهومات يوم بني قريظة قبل خيبر بستتين ، ففرج ذلك عن المسلمين غماً .

وروي عن اسماعيل بن عياش أنه قال : كنت بالعراق ، فأتاني أهل الحديث ، فقالوا :
ها هنا رجل يحدث عن خالد بن معدان ، فأتيته فقلت : أي سنة كتبت عن خالد بن معدان ؟
فقال : سنة ثلاث عشرة - يعني ومائة - فقلت : أنت تزعم أنك سمعت منه بعد موته
بسبع سنين لأن خالد مات سنة ست ومائة .

وروي عن الحاكم أبي عبد الله أنه قال : لما قدم علينا أبو جعفر محمد بن حاتم الكشي
- بالشين والسين معاً - وحدث عن عبد بن حميد ، سألته عن مولده ، فذكر أنه ولد
سنة ستين ومائتين ، فقلت لأصحابنا هذا يزعم أنه سمع من عبد بن حميد بعد موته بثلاث
عشرة سنة .

وذكر قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان ، قال : وجدت في كتاب الشامل في
أصول الدين لإمام الحرمين ، وذكر طائفة من الثقات الأثبات : أن هؤلاء الثلاثة تواصلوا
على قلب الدول ، والتعرض لافساد المملكة ، واستعطاف القلوب واستمالتها ، وارتاد كل
واحد منهم قطراً . أما الجنابي فاكثاف الأحساء ، وابن المقفع توغل في أطراف بلاد
الترك ، وارتاد الحلاج بغداد ، فحكم عليه صاحبه بالهلكة والقصور عن درك الأمانة
لبعد أهل العراق عن الانخداع ، هذا آخر كلام إمام الحرمين .

ثم قال شمس الدين بن خلكان : وهذا لا يستقيم عند أرباب التواريخ ، لعدم اجتماع
الثلاثة المذكورين في وقت واحد . أما الحلاج والجنابي فيمكن اجتماعهما ، ولكن لا أعلم
هل اجتماع أم لا ، وذكر وفاة الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة ، وذكر وفاة الجنابي في سنة
أحدى وثلاثمائة ، وذكر ابن المقفع فقال : كان مجوسياً ، وأسلم على يد عيسى بن علي
عم السفاح والمنصور ، وكتب له ، واختصر به ، وذكر أنه قتل في سنة خمس وأربعين ومائة .

ثم إن ابن خلكان قال : لعل إمام الحرمين أراد المقنع الخراساني ، وإنما الناسخ
حرف عليه ، ثم فكرت في أن ذلك أيضاً يصح ، لأن المقنع الخراساني قتل نفسه
بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة ، ثم قال : وإذا أردنا تصحيح ما ذهب إليه إمام الحرمين
فلا يكون إلا ابن الشلمغاني لأنه أحدث مذهباً عالياً في التشيع والتناسخ ، وأحرق بالنار في
سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

٢ - فائدة :

رأيت مشايخ الكتابة لا يشكلون الكاف إذا وقعت آخر ، ولا يكتبونها مجلساً ، أما
إذا وقعت أولاً وفي بعض الكلمة حشواً فانهم يجلسونها ويشكلونها بركة الكاف ، ورأيتهم
لا يجوزون في السطر الواحد أكثر من ثلاث مدات ، فأما الكلمة نفسها فلا يمدون فيها
إلا بعد حرفين ، ويمدون ذلك كله من لحن الوضع في الكتابة .

٣ - فائدة أخرى :

لا تنقط القاف ولا النون ولا الياء إذا وقعت أواخر الكلم . برهانه أن الإعجام إنما
أتي به للفارق ، فإن صورة الباء والتاء والثاء ، والحاء والخاء ، والدال والذال ،

متشابهة، والقاف والنون والياء آخر الكلمة لا تشبهها صورة أخرى، أما اذا وقعن في بعض الكلمات وجب نقطهن لان الفارق بطل .

٤ - فائدة أخرى :

لا يكتب المضاف في آخر السطر الأول ، ويبتدأ بالمضاف اليه في السطر الثاني كمبداءه، وأبي بكر ، والمغاربة يفعلون ذلك ، وليس يحسن ، وأبلغ من هذا أن يكتبوا الكلمة الواحدة مفصولة الحروف في السطرين ، كالزاي ، والياء ، والدا ، والواو ، في السطر الأول آخر ، والنون من تنمة زيدون في أول السطر الثاني ، وهو أقرب من الأول .

٦ - وجاء على الصفحة الخامسة بخط ابن السابق أيضاً :

١ - فائدة ينبغي للمؤرخ حفظها والعمل بها :

ينبغي للمؤرخ أن يقدم اللقب على الخنية ، والكنية على العلم ، ثم النسبة الى البلد ، ثم الى الاصل ، ثم الى المذهب في الفروع ، ثم الى المذهب في الاعتماد ، ثم الى العلم ، او الصناعة . والخلافة او السلطنة ، او الوزارة ، او القضاء ، او الإمرة ، او المشيخة ، او الحج ، او الحرفة ، كلها تقدم على الجميع ، فتقول في الخلافة : امير المؤمنين الناصر لدين الله ، أبو العباس السامري ، ان كان ولد بسر من رأى ، البغدادي ، فرقا بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس ، الحنفي الماتريدي ، ان كان يتمذهب في الفروع بفقهاء أبي حنيفة ، ويميل في الاعتقاد الى أبي منصور الماتريدي ، ثم يقول القرشي الهاشمي .

ويقول في السلطنة : السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي - نسبة الى أستاذه الملك الصالح - التركي ، الحنفي ، البندقدار ، أو السلاح دار .

وتقول في الوزراء : الوزير فلان الدين أبو كذا فلان ، وتسرد الجميع كما تقدم ، ثم تقول : وزير فلان .

وتقول في القضاة كذلك : القاضي فلان الدين ، وتسرد الباقي كما تقدم .

وتقول في الأمراء كذلك : الأمير فلان الدين وتسرد الباقي الى أن تجعل الآخر وظيفته التي كان يعرف بها قبل الإمرة ، مثل الجاشنكير ، أو الساقى ، أو غيرها .

وتقول في أشياخ العلم : العلامة ، أو الحافظ ، أو المسند ، فيمن عُمِّرَ وأكثر الرواية ، أو الإمام ، أو الشيخ ، أو الفقيه ، وتسرد الباقي الى أن تختتم الجميع : بالأصولي أو النحوي أو المنطقي .

وتقول في أصحاب الحرف : فلان الدين ، وتسرد الجميع الى أن تقول الحرفة ، إما البزاز أو العطار ، أو الخياط .

فان كان النسب الى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي ، التيمي ، البكري ، لأن قرشياً أعم من أن يكون تيمياً ، والتيمي أعم من أن يكون من ولد أبي بكر

(رضي الله عنه) . وان كان النسب الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي ، العدوي ، العمري ، وان كان النسب الى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي ، الأموي ، العثماني ، وان كان النسب الى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي ، الهاشمي ، العلوي ، وان كان النسب الى طلحة (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي ، التيمي ، الطلحي ، وان كان النسب الى الزبير (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي ، الأسدي ، الزبيري ، وان كان النسب الى سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي ، الزهري ، السعدي ، وان كان النسب الى سعيد (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي ، العدوي ، السعدي الا انه ما نسب اليه فيما أعلم . وان كان النسب الى عبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي ، الزهري ، العوفي من ولد عبدالرحمن ابن عوف ، وان كان النسب الى ابي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) ، قلت : القرشي من ولد ابي عبيدة ، على أنه ما أعقب .

هذا والذي ذكر هو القاعدة المعروفة ، والجادة المسلوكة المألوفة عند أهل العلم ، وان جاء في بعض التراجم ما يخالف ذلك من تقديم وتأخير ، فانما هو سبق قلم ، وذوول من الفكر ، وانما قررت هذه القاعدة ليرد ما خالف الأصل اليها ، وبالله التوفيق .

٢ - فائدة أخرى :

كلما رفع المؤرخ في أسماء الآباء والنسب ، وزاد في ذلك ، انتفع به ، وحصل له الفرق بين المترجمين ، فقد حكى أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، قال : حجبت في سنة ، وكنت بمنى أيام التشريق ، فسمعت منادياً ينادي : يا أبا الفرج ، فقلت : لعله يريدني ، ثم قلت : في الناس كثير ممن يكنى أبا الفرج ، فلم أجبه ، ثم نادى : يا أبا الفرج المعافى ، فهممت بأجابته ، ثم قلت : قد يكون اسمه المعافى وكنيته أبا الفرج ، فلم أجبه ، فنادى : يا أبا الفرج المعافى بن زكريا ، فلم أجبه ، فنادى : يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، فقلت : لم يبق شك في مناداته اياي ، اذ ذكر كنييتي ، واسمي ، واسم أبي ، وبلدي ، فقلت : ها أناذا ، فما تريد ؟ فقال : لعلك من نهروان الشرق ؟ فقلت : نعم ، فقال : نحن نريد نهروان الغرب ، فعجبت من اتفاق ذلك . انتهى .

وكذلك الحسن بن عبدالله العسكري أبو أحمد اللغوي صاحب كتاب التصحيف ، والحسن بن عبدالله العسكري ، أبو هلال صاحب كتاب الأوائل ، كلاهما الحسن بن عبدالله العسكري ، الأول توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، والثاني كان موجوداً في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فاتفقا في الاسم واسم الأب والنسبة والعلم ، وتقارباً في الزمان ، ولم يفرق بينهما الا بالكنية لأن الأول أبو أحمد ، والثاني أبو هلال ، والأول ابن عبدالله بن سعيد بن اسماعيل ، والثاني ابن عبدالله بن سهل بن سعيد ، ولهذا كثير من أهل العلم بالتاريخ لا يفرقون بينهما ، ويظنون أنهما واحد .

وكذلك أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي ، هذه الكنية ، والاسم ، واسم الأب ، والنسبة الى البلد ، والى المذهب ، الجميع مشترك بين الإمامين المشهورين : أحدهما

الفقيه المحدث الاصولي اللغوي الشاعر، المعروف بالقفال الكبير ، والآخر الفقيه صاحب الطريقة المشهورة ، والاول وفاته سنة خمس وستين وثلاثمائة ، والثاني وفاته سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، الاول محمد بن علي بن اسماعيل ، والثاني محمد بن علي ابن حامد ؛ وكذلك محمد بن علي ، كلاهما شرح المقامات الحريرية ، أحدهما محمد بن علي بن أحمد أبو عبدالله ، يعرف بابن حميدة الحلبي ، توفي سنة خمسين وخمسائة ، والآخر محمد بن علي بن عبدالله ، أبو سعيد الجواني الحلوي ، توفي سنة احدى وستين وخمسائة .

٧ - وجاء على الصفحة السادسة بخط ابن السابق أيضاً :

١ - فائدة : كانت العرب تؤرخ في بني كنانة من موت كعب بن لؤي ، فلما كان عام الفيل ، أرخت منه ، وكانت المدة بينهما مائة وعشرين سنة .

قال أبو الفرج صاحب الأغاني : انه لما مات الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو ابن مخزوم ، أرخت قریش بوفاته مدة لاعظامها اياه ، حتى اذا كان عام الفيل جعلوه تاريخاً ، هكذا ذكر ابن داب .

وأما الزبير بن بكار فذكر أنها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين الى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة ، فأرخوا بها ، انتهى .

وأرخ بنو اسماعيل عليه السلام من نار ابراهيم عليه السلام الى بنائه البيت ، ومن بنائه البيت الى تفرق معد ، ومن تفرق معد الى موت كعب بن لؤي .

ومن عادة الناس أن يؤرخوا بالواقع المشهور والأمر العظيم ، فأرخ بعض العرب بعام الختان لشهرته ، وكانت العرب قديماً تؤرخ بالنجوم ، وهو أصل قولك نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم .

وقال بعضهم : قالت اليهود : ان الماضي من خلق آدم عليه السلام الى تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف سنة وأربعمائة سنة وثمانية وأربعون سنة ، وقالت النصارى : انها خمسة آلاف سنة ومائة وثمانون سنة .

وأما المدة المحررة من هبوط آدم عليه السلام من الجنة الى الأرض لتاريخ الليلة المسفرة عن صباح يوم الجمعة الذي كان فيه الطوفان عند اليهود ، ألف سنة وستمائة وخمسون سنة ، وعند النصارى ألفاً سنة ومائتان واثنان وأربعون سنة ، وعند السامرة ألف وثلاثمائة سنة وسبع سنين .

وقال آخر : المدة التي بين خلق آدم ويوم الطوفان ألفاً سنة ومائتان وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوماً .

وأما تاريخ الاسكندر المذكور في القرآن العظيم [كذا] وتاريخ بخت نصر فمعلومات ، وتاريخ الطوفان مجهول ، فأردنا تصحيح ذلك وتحريه ، فصحناه بحركات الكواكب ، وأوساطها ، من وقت كون الطوفان الذي وضع فيه بطليموس من أوساط الكواكب في

المجسطي ، فبمقارنة هذين الأصلين صححتا تاريخ الطوفان بحركات الكوكب ، كما تصحح حركات الكواكب بالتاريخ طرداً فمكسباً ذلك الى خلف ، وجمعنا أزمنته وحررناه ، فوجدنا بين الطوفان وبخت نصر من السنين الشمسية على أبلغ ما يمكن من التحرير ألفي سنة وأربعمائة سنة وثلاثي سنة وربع سنة ، ومنه الى تاريخ السريان أربعمائة سنة وست وثلاثون سنة ، وجمعنا ذلك فكان ما بين الطوفان وذي القرنين بعد جبر الكسور ألفين وتسعمائة واثنين وثلاثين سنة ، ثم زدنا على ذلك ما بيننا وبين ذي القرنين الى عامنا هذا وهو سنة احدى وسبعين وستمائه للهجرة ، فبلغ من آدم عليه السلام الى الآن ستة آلاف سنة وسبعمائة وتسعاً وسبعين سنة على أبلغ ما يمكن من التحرير .

وقال وهب : عاش آدم ألف سنة ، وفي التوراة تسعمائة وثلاثين سنة ، وكان بين آدم وطوفان نوح ألفاً سنة ومائتان وأربعون سنة ، وبين الطوفان وابراهيم عليه السلام تسعمائة وسبعة وأربعون سنة ، وبين ابراهيم وموسى عليهما السلام سبعمائة سنة ، وبين موسى وداود عليهما السلام خمسمائة سنة ، وبين داود وعيسى عليهما السلام ألف سنة ومائة سنة ، وبين عيسى ومحمد نبينا (صلوات الله وسلامه عليهما) ستمائة وعشرون سنة ، والله أعلم بالصواب .

وأقدم التواريخ التي بأيدي الناس :

زعم بعضهم أن أقدم التواريخ تاريخ القبط ، لأنه بعد انقضاء الطوفان ، وأقرب التواريخ المعروفة تاريخ يزدجرد بن شهریار الملك الفارسي ، وهذا هو تاريخ أرخه المسلمون عند افتتاحهم بلاد الأكاسرة ، وهي البلاد التي تسمى بلاد ايران شهرة . وأما التاريخ المعتصدي فما أظنه تجاوز بلاد العراق ، وفيما بين هذه التواريخ تواريخ القبط والروم والفرس ، وبني اسرائيل ، وتاريخ عام الفيل ، وأرخ الناس بعد ذلك من عام الهجرة .

وأول من أرخ الكتب من الهجرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ، وكان سبب ذلك أن أبا موسى الأشعري ، كتب الى عمر (رضي الله عنهما) : انه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل ، قد قرأنا صكاً منها محله شعبان ، فما ندري أي الشعبانين ، الماضي أو الآتي ، فعمل عمر (رضي الله عنه) على كتب التاريخ ، فأراد أن يجعل أوله رمضان ، فرأى أن الأشهر الحرم تقع حينئذ في سنتين ، فجعله من الحرم .

٨ - وجاء على الصفحة السابعة ، بغير خط ابن السابق :

١ - الحمد لله . من تاريخ ابن العديم ، بخطه ، رحمة الله عليه ، واسمه زبدة الحلب في تاريخ حلب .

٢ - وجاء بخط ابن السابق : نوبة فقير عفو الله تعالى محمد بن محمد بن محمد بن السابق العنفي عفا الله عنهم أجمعين ، بالقاهرة المحروسة في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، أحسن الله عاقبتها في خير ، أمين .